أثر المدرسة التوليدية التحويلية في سيميائيات گريماس

طالبة الدكتوراه: أسماء بن طيب*
المركز الجامعي بمغنية
Bentayeb_assma@outlook.fr

الأستاذ المشرف: أ. د. سيدي محمّد بن مالك
المركز الجامعي بمغنية
benma_1971@yahoo.fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2020-04-02	2020-06-21	2020-07-30

ملخص

يحاول هذا البحث تحديد المرجعية النظرية والمعرفية لاتجاه معين من اتجاهات السيميائيّة العامة، حيث يتعلق الأمر بالسيميائيّة السرديّة لگريماس، والتي تمتد على مجموعة من المرجعيات والروافد (لسانية، وفلسفية منطقية ومعرفية)، إذ تعدّ كثير من المصطلحات والمفاهيم اللّسانية والبنيّوية مهد هذه النظرية. إنّ اهتماماتنا ستصب أساساً في محاولة تحديد أثر المدرسة التوليدية التحويلية في سيميائيّات گريماس.

الكلمات المفتاحية: السيميائية السردية-الكفاءة-الأداء-البنية السطحية –البنية العميقة.

Abstract

This research attempts to determine the theoretical and cognitive reference to a particular direction of general semiotics, as it relates to the narrative semantics of Greimas, Which extends to a group of references and tributaries (linguistics, philosophical and logical knowledge), Our concerns will be mainly to try to determine the impact of the transformational generating school in Greimas Semiconductors.

Key words: Semiotics narrative - efficiency - performance - surface structure - deep structure.

* أسماء بن طيب - Bentayeb_assma@outlook. fr

مقدمة:

لقد شكلت السيميائيّات، في المجال الأدبيّ، تياراً فكرياً أثرى الممارسة النّقدية المعاصرة وأمدها بأشكال جديدة لتصنيف الوقائع الأدبيّة وفهمها وتأويلها، لقد ساهمت السيميائيّات بقدرٍ كبير في تجديد الوعي النّقدي من خلال إعادة النظر في طريقة التعاطي مع قضايا المعنى.

إنّ حالة النضج التي وصلت إليها السيميائيّات استدعت التفكير في كتابة تاريخ يرسم الخط التصاعدي لهذا العلم. وقد حاول بعض الباحثين استعادة لحظات التأسيس والنمو والتعدّد من خلال تحديد أهم المحطات التي عرفتها السيميائيّات. ولقد تشعبت الدراسات السيميائيّة وتنوعت وظهرت داخلها تيارات ذهبت بالتحليل في جميع الاتجاهات، ووَسعت من دائرته ليشمل كل المجالات[1]. فالسيميائية يمكنها أن تحتوي دراسة كل شيء. ولهذا فإنّ كتابة تاريخ السيميائيّات، أو حتّى تحديد بعض محطاتها أمر في غاية الصعوبة، ويصعب الإحاطة به في مثل هاته الأوراق البحثية المعدودة.

كما أنّ الحديث عن «گريماس» Greimas ليس عملاً سهلاً إذ لا ينحصر في استعراض أهم التصّورات المعرفية التي قدمها هذا الناقد فحسب، بل هو عمل معقد يتجاوز تلك الفردية ليتحول إلى جردٍ موضوعي يسعى إلى تقديم تصّور نظري لاتجاه معرفي ممثلاً في «مدرسة باريس السيميائيّة والذي اقترن اسمها باسم هذا الباحث[2].

وبناءً على ذلك آثرنا الحديث عن السّيميائيّات السّرديّة عند گريماس، حيث يتعلق مدار حديثنا في هذه الدراسة بنظرية «گريماس» المعروفة عند رُوادها ومؤسسيها بالسّيميائيّة السّرديّة، والتي أحدثت تلك الطفرة النوعية في الخطاب النقديّ المعاصر، لاسيما ما يتعلق بجوانبها الإجرائية والتحليلية.

لقد استمد »گريماس« مرجعيته العلمية وروافده الفكرية من مصادر ومنابع متعدّدة أسهمت بشكل كبير في بلورة نظريته السيميائيّة (السيميائيّة السّرديّة)، ومنطلقاتها النّظرية وإجراءاتها التّطبيقية، التي تمتد في حقول معرفيّة متعدّدة واختصاصات نقديّة متنوّعة[3]، أهمها المدرسة التوليدية التحويلية وهو ما سيكون موضوع هذه الورقة البحثية.

1-السيميائيات السردية عند گريماس:

من الاتجاهات السيميائيّة: «السيميائيّات السرديّة« أو ما يعرف بمدرسة باريس السيميائيّة، والتي تعد مرحلة مهمةً في مسار التاريخ السيميائي. فمع مؤسسها «گريماس« عرفت السيميائية تطوّراً ملحوظاً. وما يُعزز هذا الاتجاه بهذه التّسمية «مدرسة باريس السيميائيّة» ما صدر عن أصحابها من كتب تعتمد هذه التسميّة، إشارةً إلى تصوّراتها النظرية والمنهجية والتطبيقية. ولتحديد المبادئ والمفاهيم أرسى گريماس دعائم السيميائية سنة(1966) في كتاب يحمل عنوان «الدلالة البنيوية»Sémantique structurale.[4] ويعود وضع المفاهيم السيميائيّة للنظرية على مرجعيات وروافد مختلفة كما سبق وأن أشرنا. كما تتميز نظرية گريماس بشموليتها: شمولية في التصور وشمولية في التحليل. والشمولية هنا لا تعني إلغاء التاريخ كما لا تعني إلغاء النظريات الأخرى. إن شموليتها نظرية ما هي قدرتها على التحاور مع عناصر معرفية تنتمي إلى مجالات مغايرة وقدرتها على مد جسور نحو نظريات تتقاسم معها موضوعاً للدراسة.

من هنا فإنّ شمولية نظرية گريماس تكمن في قدرتها على استيعاب عناصر شتّى تنتمي إلى نظريات سرديّة أخرى كما تجعل من هذه العناصر تدل داخلها وفق منطلقاتها المعرفية الداخلية: إنها بذلك تكشف عن نواقصها وعن الثغرات الموجودة في داخلها من جهة، كما تُقدّم تبريراً لقصور النظريات الأخرى من جهة ثانية. وفي كِلّتا الحالتين، تؤكد على ضرورة التكامل بين كل النظريات.

وتتميّز «نظرية گريماس عن باقي النظريات الأخرى في المجال السردّي بخاصية أساسية يمكن تحديدها في صيغة بسيطة: مشكلة المعنى. فمقاربة نصّ ما لا يكون من معنى إلا في حدود طرحها للمعنى كهدف وغاية لأيّ تحليل»[5]. وبهذا يكون المعنى، وهو يستخلص من العلاقات القائمة في صلب النص دون اعتبار تلك العلاقات التي يقيمها النص مع أي عنصر خارجي عنه. لقد اهتم رواد هذه المدرسة « بتحليل الخطابات والأجناس الأدبيّة من منظور سيميوطيقي، قصد استكشاف القوانين الثابتة المُوَلدة لتمظهرات النصوص العديدة، حيث انصّبت جل أعمال گريماس على النصوص السرديّة والإبداعات الحكائية الخرافية، مهتماً بذلك في أبحاثه بالدلالة، وشَكْلَنة المضمون، معتمداً في ذلك على التحليل البنيويّ، وتمَثُّل القراءة المحايثة، ورصد الخطابات النصّية السرديّة»[6]، حيث إن المعنى في الدراسات السيميائية هو مسار بنية القارئ وفق

مستويات تحليل متداخلة ومتكاملة تكشف عن طبقات النص وتشمل الأبنية-السيما-سردية (مستوى السطح ومستوى العمق) والبنية الخطابية. وتجدر الإشارة هنا أن السرديات الحديثة جعلت أهل الاختصاص ينصرفون إلى خصائص النصوص البنائية وآليات إنتاجها ويطّرحون القيم التي تتخللها ومن ثم المعاني التي تتلبسها والدلالات التي تتسرب منها.

2-أثر المدرسة التوليدية التحويلية في سيميائيات گريماس:

يقصد بالنظرية التوليدية التحويلية مجموعة النظريات اللّسانية التي وضعها، وطورها اللّساني الأمريكي «نعوم تشومسكي»Noam chomsky وأتباعه منذ أواخر الخمسينات[7]، تحديداً سنة1957 بصدور كتاب (البنى التركيبية) لتشومسكي. ليبدأ توجهاً جديداً في دراسة هذا الموضوع، إذ أحدث بذلك ما يشبه القطيعة مع المناهج التي كانت تتبع اللّسانيات وعن الأهداف التي كانت ترسمها لنفسها. فلم يعد الهدف وصفَ المادة اللغوية التي يجمعها الدارِس، بل صار تفسير هذه المادة تفسيراً يقصد إلى اكتشاف ما يكمن وراء الظاهر الذي تمثله المادة اللغوية[8].

ونجد هذه النظرية «تقدّم تصوّرات معرفية جديدة تمتاز بنقدها للمنهج اللّساني التوزيعي الذي تأسس على الافتراض الخارجي والسطحي للّغة. كما نجدها تدأب التعمّق في المقتضيات النفسّية للمتكلّم المبدع، كما أنّ استلهامها للعقل يعد إطاراً مرجعيًا حددّ تشومسكي بموجبه وجهة نظره في مسألة اكتساب اللغة، التي لا تتأتى إلاّ وفق مبدأين اثنين هما الكفاءة والأداء»[9]، وهما من أهم الآراء لدى البنيويين التحويليين أو المدرسة التوليدية التحويلية، حيث أن الكفاية compétence هي «معرفة الإنسان الضمنية بقواعد اللغة التي تقود عملية المتكلّم بها»[10]ونسمّي المقدرة على إنتاج الجمل وفهمها، في عملية تكلم اللغة بالكفاية اللغوية، ونمّيز بين الكفاية اللغوية وبين ما نسمّيه بالأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياقٍ مُعَين»[11].

فتشومسكي يسمي القدرة على إنتاج الجمل وفهمها في عملية التكلم، بالكفاءة اللغوية. أما الأداء فهو التجسيد المادي والفعلي لنظام اللغة في إحداث الكلام. وإنَّ هذا الأداء لا يكون بصورة تامة كونه مرتبط بالكلام الذي لا يخلو من بعض الانحرافات الحاصلة أثناء إنجاز عملية التواصل. وبهذا يكون قد فرق تشومسكي

بالتالي بين الكفاية والأداء.

لقد غدت هذه النظرية ومصطلحاتها مرجعًا ومقياسًا بالنسبة للعديد من النظريات المختلفة لها من ذلك: النظرية السميائيّة السرديّة، «لقد قام گريماس بتعديل هاتين المقولتين وصياغتهما صياغة مفهومية جديدة، حيث تم نقلهما من حقل الاستعمال اللّسان اللغوي إلى حقل الاستعمال العلمي المرتبط بالفعل الإنساني في جوانبه المتعدّدة وامتلاكه للقدرة والكفاءة في أداء البرامج السرديّة.

إن مفهوم هذين المصطلحين(الكفاءة/الأداء) في المنظور السيميائي الغريماسي يتحدد من خلال العلاقة التي تربط الفعل بالفاعل، بحيث لا يمكن أداء البرامج السّرديّة إلا إذا امتلك الفاعل القدرة والكفاءة على أداء الفعل-وبالاستناد إلى التميّز الذي وضعه «غريماس» بين معرفة الفعل والفاعل، يمكن القول: إن كل سلوك مبرّر يفترض برنامجا سردياً وكفاءة تتضمن تنفيذه »[12].

وتشكل كفاءة الفاعل المنفذ بامتلاكه لشروط بدونها يتجمد النشاط المقيّد في بداية التحريك. إن الفاعل المنفذ يجد نفسه في علاقة مع القدرة على الفعل ومعرفة الفعل، يعني ممتلكًا للوسائل التي تمكنه من القيام بالفعل[13] وفي هذا الصدد يقول رشيد بن مالك: «ينبغي أن ننظر إلى قراءة غريماس لهذا المشروع على أنها تعديل جوهري في الاقتراب المنهجي من الظاهرة اللغويّة، في جانبها التواصلي واستيعاب الإرث اللساني(سوسير) وتمثله في مشروع يرتكز أساسا على السطحية التشومسكية التي يتبناها غريماس ويصهرها في مفهمة جديدة تولي أهمية العناصر التي تدخل في تشكيل الكفاءة وللبعدين المعرفي والتداولي للأداء.»[14].

نستنتج من ذلك كله أن مسألة المعنى والدلالة والتي ارتبطت منذ القديم بفكرة القيمة أخذت في التراجع أمام تدفق طروحات السيميائية السردية، حيث لم تعد تعلق أهمية كبرى على قيمة الخطاب بقدر ما تصب جام اهتماماتها على الطرائق التي به يتم إنتاج المعنى أو الدلالة انطلاقاً من العلامات اللغوية وغير اللغوية التي ترد في النص.

بالإضافة إلى مقولتي الكفاءة والأداء اللّتين حدّدها تشومسكي انطلاقاً من التميّز الذي وضعه دوسوسير بين اللغة والكلام، واللّتين وجدتَا صياغة، جديدة في المنظور السيميائي الغريماسي، نجد تشومسكي، يميّز بين بِنْيَتين ومستويين في اللغة، «بنية سطحية «و«بنية عميقة». تتمثل البنية السطحية Surface structure«في

التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية، المنطوقة أو المكتوبة، إنها التفسير الصوتي للجملة Son interprétation phonétique». أما البنية العميقة فهي«التركيب الباطني المجرد، الموجود في ذهن المتكلّم وجوداً فطرياً. وهي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجملة. إنها التركيب المستتِّر الذي يحمل عناصر التفسير الدلاليL`interprétation sémantique[15].

لقد أفاد گريماس في مقارباته السيميائيّة للخطابات السرديّة؛ »إذ نجده وبالاستناد إلى تشومسكي دائماً، وتطويراً منه لمقولتي: البنية العميقة والبنية السطحية، يرى أن البنية العميقة تشمل على القوانين التي يخضع لها العالم السردي، وفي هذا الإطار يتم الاهتمام بصفة خاصة بالبناء الوظائفي وتحلل العلاقات بين الفاعلين، أو القوى الفاعلة. أما البنية السطحية، فتظهر عنده على سطح النصّ وبُناه أو ما يسمّى بالبنى النصّية أو الكلامية، إذ ينطلق التحليل السردّي في هذا المستوى من الخصائص التعبيرية والملفوظات السرديّة للنصّ، وكل ما يتعلق بالخصائص الشكلية له، ضمن مكوّنين أساسين هما: المكون السردّي والمكون الخطابيّ، إذ يتم في الأول تفحص العوامل والوظائف، ويتم في الثاني مقاربة الصور والتشكلات الخطابية[16].

وبهذا يمكننا الحديث في مجال السرد عن بنيتين: البنية السطحية والبنية العميقة على غرار تشومسكي، فعلى المستوى السطحي، يدرس المركب السردي الذي يحدد تعاقب الحالات وتسلسل التحولات السردية فعلاً وحالةً، بينما يُحدد المركب الخطابي في النصّ بتسلسل أشكال المعنى وتحديد تأثيرها.

وإذا انتقلنا إلى البنية العميقة فيمكن الحديث عن مستويين منهجين: أولاً المستوى السيميولوجي الذي ينصب على تصنيف قيم المعنى حسب ما يقوم بينهما من علاقات، والتركيز على التشاكلات السيميولوجية. ثانيا، المستوى الدلالي وهو نظام إجرائي يحدد عملية الانتقال من قيمة لأخرى، ويبرز القيم الأساسية، ويبين لنا التشاكل الدلالي لكل التمظهرات السطحية [17].

يتجلى مما سبق، أن البنية العميقة تشمل على القوانين التي يخضع لها العالم السردي، أما البنية السطحية،

فتظهر عنده على سطح البنى النصية. غير گريماس مفهوم هذه المصطلحات وفق ما جاء بها المسار اللّساني التوليدي التحويلي، لتحمل معنى مغايرٍ؛ إذ أصبحت بنى سيميائية سرديّة تنظّم العلاقات بين الوحدات السردّية، وتُتَخذ كقاعدة لتحليل الخطاب السرديّ.

خاتمة:

وتأسيساً على ما سبق، يمكن الخروج بالنتائج التالية:

1- لقد استند گريماس في بلورته لنظريته السيميائيّة إلى الكثير من المرجعيات والمعارف العلمية أهمها النظرية التوليدية التحويلية؛ حيث تعدّ كثير من المصطلحات والمفاهيم اللّسانية مهدا لهذه النظرية.

2- من بين أبرز ما جاءت به المدرسة التوليدية التحويلية مفهومي الكفاية اللغوية والأداء اللغوي ، وقد قام گريماس بتعديل هاتين المقولتين وصاغهما صياغة مفهومية جديدة.

3- إن مفهوم مصطلحي (الكفاءة /الأداء) في المنظور السيميائي الغريماسي يتحدد من خلال العلاقة التي تربط الفعل بالفاعل، بحيث لا يمكن أداء البرامج السردية إلا إذا امتلك الفاعل القدرة والكفاءة على أداء الفعل.

4- كذا من أبرز المقولات اللسانية التشومسكية التي طورها گريماس وأفاد منها، مقولتي البنية السطحية والبنية العميقة؛ إذ يرى أن البنية العميقة تشمل على القوانين التي يخضع لها العالم السردي، أما البنية السطحية، فتظهر عنده على سطح البني النصية.

5- تفتح السيميائية السردية النص على المعنى دون أن تغفل الانطلاق من دراسة عناصره التكوينية وشبكة العلاقات التي تشد بعضها إلى بعض، دون اعتبار تلك العلاقات التي يقيمها النص مع أي عنصر خارجي عنه. وأخيرا ساهم كل ذلك في تشكيل منهج سيميائي مغاير يعتمد كإجراء نقدي لتحليل وفك شفرات الخطابات النصية السردية.

إحالات البحث

1- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها: سعيد بنگراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط:3، س:2012، ص9ومابعدها.

2 - ينظر: النظرية السيميائية عند«غريماس»بين أزمة المصطلح وإشكالية الترجمة: آسيا جريوي، جامعة محمد خيضر بسكرة/الجزائر، الملتقى الدولي الثامن(السيمياء والنص الأدبي)، ص332.

3- ينظر: نظرية غريماس الأصول العلميّة والمرجعيات الفكرية، سحنين علي، مجلة أيقونات، العدد الثالث، ص42-43.

4- ينظر: النظرية السيميائية عند«غريماس»بين أزمة المصطلح وإشكالية الترجمة: آسيا جريوي، جامعة محمد خيضر بسكرة/الجزائر، الملتقى الدولي الثامن(السيمياء والنص الأدبي)، ص332-333.

5- ينظر: مدخل إلى السيميائية السردية: سعيد بنگراد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:2، س:2003، ص7-8.

6- الاتجاهات السيميوطيقية «التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية»: جميل الحمداوي، مؤسسة المثقف العربي، ط:1، س:2015، ص29.

7- ينظر: مدخل إلى اللسانيات: محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط:1، س:2004، ص82.

8- ينظر: اللغة ومشكلة المعرفة: نعوم تشومسكي، تر/حمزة بن قبلان المزيني، منتديات الوحدة العربية، الدار البيضاء، ط:1، دس، ص4.

9- نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم: مختار درقاوي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية. ب/قسم الآداب والفلسفة، العدد13، س:2015، ص3.

10- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة السطحية): ميشال زكرياء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، س:1986، ص32.

11- المرجع نفسه، ص32.

12- السيميائية السردية«نظرية غريماس الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية: علي سحنين، مجلة أيقونات، مج3، ع3، ص47.

13- ينظر: السيميائية أصولها وقواعدها: جان كلود جيرو وآخرون، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، دط، س:2002، ص114-115.

14- مقدمة في السيميائية السردية: رشيد بن مالك، دار القصبة، الجزائر، س:2000، ص19.

15- المرجع نفسه، ص19.

16- ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط:1، س:2004، ص52-53.

17- السيميائية السردية«نظرية غريماس الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية: علي سحنين، مجلة أيقونات، مج3، ع3، ص48.

مَصَادِرُ البَحْثِ وَمَرَاجِعُهُ

- الاتجاهات السيميوطيقية «التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية»: جميل الحمداوي، مؤسسة المثقف العربي، ط:1، س:2015.
- أسس السيميائية: دنيال تشاندلير، تر/طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط:1، س:2008.
- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة السطحية): ميشال زكرياء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، س:1986.
- السيميائية أصولها وقواعدها: جان كلود جيرو وآخرون، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، دط، س:2002.
- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها : سعيد بنگراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط:3، س:2012.
- اللغة ومشكلة المعرفة: نعوم تشومسكي، تر/حمزة بن قبلان المزيني، منتديات الوحدة العربية، الدار البيضاء، ط:1، دس.
- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط:1، س:2004.
- مدخل إلى اللسانيات: محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط:1، س:2004.
- مقدمة في السيميائية السردية: رشيد بن مالك، دار القصبة، الجزائر، س:2000.

- **المجلات والدوريات**:
- السيميائية السردية «نظرية غريماس الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية: علي سحنين، مجلة أيقونات، مج3، ع3.
- نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم: مختار درقاوي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية. ب/قسم الآداب والفلسفة، العدد13، س:2015.
- نظرية غريماس الأصول العلميّة والمرجعيات الفكرية، سحنين علي، مجلة أيقونات، العدد الثالث.

الأطروحات:
- النظرية السيميائية عند»غريماس« بين أزمة المصطلح وإشكالية الترجمة: آسيا جريوي، جامعة محمد خيضر بسكرة/الجزائر، الملتقى الدولي الثامن(السيمياء والنص الأدبي).